سلسلة البحوث الأصولية

الدرر اللماعة

٣

فى

حقيقة معني أهل السنة والجماعة



تأليف وجمع الفقير إلى الله تعالى

إبراهيم صالح الحسيني

رئيس هيئة الإفتاء بنيجيريا

إختيار لجنة البحوث العلمية

هيئة كبار العلماء بنيجيريا

الـدرر اللماعة
فى
حقيقة معنى أهل السنة والجماعة

تأليف وجمع

الفقير إلى الله تعالى

إبراهيم صالح الحسينى

رئيس هيئة الإفتاء بنيجيريا

إختيار لجنة البحوث العلمية
هيئة كبار العلماء
بنيجيريا

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع ٢٠٠٥/١٤٧٧٨

I. S. B. N. 977-17-2455-X

تقديم لفضيلة الشيخ
سيد محمود أحمد

الحمد لله حمدًا جامعًا لسائر وجوه المحامد، سبحانك اللهم أنت كما أثنيت على نفسك لا نحصى ثناءً عليك، اللهم صلى وسلم وبارك على صفيك الأكرم الذى شققت له من حمدك إسمًا فكان مظهر الحمد الجامع فهو بك محمد ومحمود ولك حامد وعلى آله وصحبه وسائر المؤمنين . . . أما بعد . .

فإننا نعيش فى زمان قد تغيرت فيه جبهات الصراع ضد الإسلام والمسلمين، واختار أولئك النفر الذى اتخذوا موقفًا معاديًا للإسلام لأنفسهم مواقع يتمكنون من خلالها من ضرب الإسلام فى عقيدة أو شريعة أو مصادر تلك الشريعة.

إنه لا يخفى علينا أن خرائق الكذب وأساليب الخداع وغيرهم من أشباههما ونظائرهما إنما تمثل بحرًا من الظلمات يتراكم بعضها فوق بعض حتى إن الكائن فيه إذا أخرج يده لم يكد يراها.

وهذا الكتاب الذى بين أيدينا أبرز فيه كاتبه بعض ما يفعله أصحاب هذا الخط ليكون إشارة واضحة ونذير خطر لا يخطىء المسلمين إشارته عليهم أن ينتبهوا إلى ما يراد بهم.

القاهرة أول رجب ١٤٢٦
الموافق ٦ أغسطس ٢٠٠٥

الشيخ
سيد محمود أحمد
من علماء الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمة السمع والطاعة وعلى ما من به من سلوك نهج أهل السنة والجماعة .

والصلاة والسلام على من بعثه الله بكلام قديم يحلو لنا إذا قرىء سماعه واستماعه سيدنا محمد الذى جاء بالتوحيد فنشره واشاعه وعلى آله وأصحابه الذين اقتدوا به فى كل الشعائر والأحكام واتبعوه خطوة بخطوة إلى قيام الساعة .

أما بعد . . فإن من الأمور التى كثر حولها الجدل والقيل والقال مفهوم أهل السنة والجماعة والتفسير، والتأويل حول محكم القرآن ومتشابهه، ومع أن علماءنا الأوائل من سلفنا الصالح ومن تبعهم من الأئمة الأفاضل وضحوا هذه المسائل ببينات الحجج والدلائل بما لا يدع مجالاً لذى شك أو مجادل لم يقنع بعض الخائضين فى بعض هذه المسائل إلا بالترامى على مالا يحسنونه من الخوض بالباطل فى مجال العقائد والتفسير والتأويل بالتحريف والتبديل واصفين من خالفوهم وإن كانوا أعلم منهم وأرسخ فى اليقين بالتفكير والتضليل، وهذا مما عمت به البلوى وانتشرت به بين طلبة العلم العدوى، فصار لزاما على

أهل العلم والمعرفة بيان وجه الحق والصواب والتميز بين هذا وبين ذالك الخلط والإضطراب، فإن كلا من التفسير والتأويل يحتاج إلى الكثير من علوم الرواية والدراية، والإحاطة بقدر لا يستهان به من معرفة لسان العرب الذى نزل به القرآن والسنة والبيان والذين التزموا منهج الحق فى هذا الباب من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من أهل الإحسان واليقين هم أهل السنة والجماعة ، ونقدم قبل الكلام على شرح معنى أهل السنة والجماعة الكلام على التفسير والتأويل قال العلامة الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين :-

اما التفسير فهو من الفسر وهو البيان والكشف ويقال هو مقلوب السفر أو هو من التفسرة اسم لما يعرف به الطبيب المرض هكذا قالوا، والأشبه أن يكون الأمر بعكس ذلك فيكون التفسرة مأخوذة من الفسر وأما التأويل فمن الأول وهو الرجوع فكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعانى وقيل من الايالة وهى السياسة كان المؤول للكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه واختلف فى التفسير والتأويل فقال أبو عبيدة وطائفة هما بمعنى، وقد أنكر ذلك قوم حتى بالغ ابن حبيب النيسابورى فقال قد نبغ فى زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه، وقال الراغب التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله فى الألفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل فى المعانى

والجمل، وأكثر ما يستعمل فى الكتب الآلهية والتفسير يستعمل فيها وفى غيرها وقال غيره التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا والتوجيه بيان لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة، وقال أبو منصور الماتريدى التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا والشهادة على الله أنه عَنَى بهذا اللفظ هذا فإن قام دليل مقطوع به فصحيح وإلا فتفسير بالرأى وهو المنهى عنه، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله، وقال الثعلبى التفسير بيان وضع اللفظ أما حقيقة أو مجازا كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر والتأويل تفسير باطن اللفظ فهو إخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد مثاله قوله ﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾ (الفجر: ١٤) تفسيره أنه من الرصد وهو التقرب والمرصاد مفعال منه وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله تعالى والغفلة عن نواهيه والاستعداد للعرض عليه، وقواطع الأدلة تقتضى بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ فى اللغة، وقال الأصبهانى التفسير إما أن يستعمل فى غريب الألفاظ نحو البحيرة والسائبة والوصيلة أو فى وجيز يتبين بشرح نحو أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وإما فى كلام متضمن للقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها كقوله ﴿**إنما النسىء زيادة فى الكفر**﴾ (التوبة: ٣٧) والتأويل يستعمل مرة عاما ومرة خاصا نحو الكفر

المستعمل تارة فى الجحود المطلق وتارة فى جحود البارى خاصة والإيمان المستعمل فى التصديق المطلق تارة وفى تصديق الحق أخرى وإما فى لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ «وجد» المستعمل فى الجدة والوجد والوجود، وقال غيره التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية، وقال أبو نصر القشيرى التفسير مقصور على الإتباع والسماع والاستنباط مما يتعلق بالتأويل وقال غيره ما وقع بينا فى كتاب الله ومعينا فى صحيح السنة سمى تفسيرا لأن معناه قد ظهر ووضح وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذى ورد لا يتعداه، والتأويل ما استنبطه العلماء العالمون بمعانى الخطاب الماهرون فى آلات العلوم، وقال أبوحيان التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التى يحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك قال فقولنا علم جنس وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هو علم القراءة وقولنا ومدلولاتها أى مدلولات تلك الألفاظ، وهذا متن علم اللغة الذى يحتاج إليه فى هذا العلم، وقولنا وأحكامها الافرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف والبيان والبديع، وقولنا ومعانيها التى يحمل عليها حالة التركيب يشمل مادلالته بالحقيقة ومادلالته بالمجاز فإن التركيب قد يقتضى بظاهره شيئا ويصد عن الحمل عليه

صاد فيحمل على غيره وهو المجاز، وقولنا وتتمات لذلك هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما أبهم فى القرآن ونحو ذلك، وقال الزركشى التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذالك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقرآت ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ انتهى (ج٤ ص ٥٣٥-٥٣٦).

وجاء فى كتابنا الاقتصاد فى تصحيح قواعد الإعتقاد الذى كتبته فى الإعتقاد على طريقة المحدثين من أهل السنة والجماعة فى الجزء الأول وهو مازال مخطوطاً لم يطبع تحت عنوان :-

التحذير من الخوض فى المتشابه بين العوام

اعلم أن الشارع الحكيم حذر المؤمنين عموما وأهل العلم خصوصا من الجدال فى الدين والمراء والقول فى دين الله بالجهل والرأى المجرد والهوى، كما حذر خواص العلماء من الخوض فى بعض قضايا العلم امام العوام الذين يشبه بعضهم فى الفهم والتمييز سائمة الأنعام فاخرج مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " هلك المتنطعون " .

وقال علماء السنة ممن تناولوا هذا الحديث بالشرح والبيان إن المتنطعين هم المتكلفون للكلام فيما لا يقع والمفرعون على مسائل لا أصل لها فى الكتاب ولا فى السنة وهى نادرة الوقوع جداً فيصرف أحدهم فيها زمنا لو صرفه فى غير ذلك مما يعود بالنفع على الأمة لكان أفضل وأولى .

أخرج الدارمى فى مسنده عن نافع إن صبيغا العراقى جعل يسأل عن أشياء من القرآن فى أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعثه عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب فلما أتاه أرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه حتى برىء ثم عاد له

ثم تركه حتى برىء فدعا به ليعود له فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلى فاقتلنى قتلا جميلا وإن كنت تريد ان تداوينى فقد والله برأت فاذن له إلى أرضه وكتب إلى أبى موسى الأشعرى أن لا يجالسه أحد من المسلمين ·

وأخرج نصر المقدسى فى الحجة وابن عساكر عن أبى عثمان النهدى أن عمر كتب إلى أهل البصرة ان لا يجالسوا صبيغا قال فلو جاء ونحن مائة لفرقنا·

وأخرج ابن الأنبارى فى المصاحف ونصر المقدسى فى الحجة وابن عساكر عن السائب بن يزيد أن رجلا قال لعمر إنى مررت برجل يسأل عن تفسير مشكل القرآن فقال عمر: اللهم أمكنى منه ، فدخل الرجل يوما على عمر فسأله فقال عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده ثم قال : ألبسوه تبانا واحملوه على قتب وأبلغوا به حيه ثم ليقم خطيب فليقل : إن صبيغا طلب العلم فاخطأه فلم يزل وضيعا فى قومه بعد أن كان سيداً فيهم·

وأخرج الهروى فى ذم الكلام عن الإمام الشافعى رضى الله عنه قال: حكمى فى أهل الكلام حكم عمر فى صبيغ أن يضربوا بالجريد· ويحملوا على الإبل ويطاف بهم فى العشائر والقبائل وينادى عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام ·

وأخـرج الدارمى عن عـمـر بن الخطاب قـال إنه سـيـأتيكم ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فـخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله .

وأخرج نصر المقدسى فى الحـجة عن ابن عمرو ان رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم يتنازعون فى القرآن هذا ينزع بآية فكأنما فقىء فى وجهه حب الرمـان فقال: «ألهذا خلقتم أو لهـذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعـضه ببعض ، أنظروا ما أمـرتم به فاتبعوه وما نـهيتم عنه فانتهوا» أورد ذلك السيوطى فى الدر المنثور (ج٢ ص ١٢- ١٣).

ومن أحسن مـا رأيت نقله فى هذا المجـال ما ذكره الأسـتاذ عـبد الجليل عيـسى فى كتابه مالا يـجوز فيه الخـلاف بين المسلمين قال : ومما يجب التنبيه له أن هناك أمـوراً وردت عن الشارع لا يصح البحث فيهـا أمام العامة لضـعف عقولهم عن الوصول إلى المراد منهـا فيزلوا كالبحث عن اليـد والإصبع والعين لله عز وجل التى وردت فى بعض الآيات والأحاديث .

قال: وروى الـبخـارى فى ذلك فى كتـاب العلم «باب من خص بالعلم قـوما دون قـوم مخافـة ألا يفهـموا قـال على رضى الله عنه: حدثوا الناس بما يفهمون ودعوا مـايشتبه عليهم اتريدون أن يكذب الله ورسوله» قال الحـافظ : وفيه دليل على أن المتشـابه لا ينبغى أن يذكر أمام العامة .

وروى مسلم عن ابن مسعود أنه قال : ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة .

ونقل أيضا عن الحافظ ابن حجر : وأشد من ذلك قبحا كثرة السؤال والبحث عن أمور مغيبة ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها انتهى (ص ١٢٢ - ١٢٣).

ولقد انتشرت بدعة الخوض فى المتشابهات فى هذا العصر فى كل انحاء العالم وخاصة فى بعض بلدان غرب افريقيا ويجوز ان يكون حظ نيجيريا من ذلك الأكبر والأسوأ بسبب عدم الإستقرار السياسى والإقتصادى، ومن أمثلة ذلك أنه ورد إلى مدينة ميدجرى فى الآونة الأخيرة طالب متعالم وهو غمر يتميز بالجرأة والوقاحة ممن يقلد مذهب التجسيم والتشبيه، وبدأ ينشر باطله بين العامة وقد نفق سوق بهرج بضاعته الزائفة بين الغوغاء والجهلة وحين أنكر عليه علماء أهل السنة من أهل الإختصاص والمعرفة فى البلد صار يطالب العلماء بأن يبرزوا له للمناظرة مع أنه لا يعرف من المناظرة أصلا ولا فرعا بل حتى لااسمها ولا رسمها بل ولا شىء وانما حمله على ذلك غروره وتصديقه ما سولته له شياطينه ووسوست إليه به نفسه لأن رفض العلماء لمقابلته أو مناظرته إنما هو من أجل استهجانهم لامره واستهانتهم لما تظاهر به من فجوره فظن المسكين أنه غلب بباطله حق

المسلمين الموحدين التابعين لأهل السنة والجماعة ذلك لأن الجلوس مع أمثاله يوحى بالاعـتراف بباطله أو بعلمه الذى أدعاه وادعـاه له الغاغة زورا وامعـانا فى الوقاحـة والضلال ورفـضوا ايضـا الجلوس مع هذا المتطفل عملا بمذهب الامام مالك رحـمه الله الذى على مذهبه جميع المسلمين فى تلك البـلاد، وهو ينكر الخوض فى المتشـابهات بين يدى العامة قال الحافظ بن حجر العسقلانى رحمه الله فى فتح البارى: عند كلامـه على باب من خص بالعلم قوما دون قـوم كراهية الا يفهـموا تعليقا على قـول الامام على كرم الله وجهه حـدثوا الناس بما يعرفون اتحـبون ان يكذب الله ورسـوله : والمراد بقـوله " بما يعرفـون " أى يفهمون وزاد آدم بن أبى إياس فى كتاب العلم له عن عبد الله بن داود عن معروف فى آخره " ودعوا ما ينكرون " أى يشـتبه عليهم فهمه . وكذا رواه أبو نعـيم فى المسـتخرج . وفـيه دليل على أن المتـشابه لا ينبغى أن يذكـر عند العامة ومـثله قول ابن مسـعود " ما أنت مـحدثاً قوماً حـديثاً لا تبلغه عقـولهم إلا كان لبعضهم فـتنة " رواه مسلم . وممن كـره التـحديث بـبعض دون بعض أحـمـد فى الأحـاديث التى ظاهرها الخروج على السلطان ، ومالك فى أحـاديث الصفات ، وأبو يوسف فى الغرائب ، ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه فى الجرابين قلت : والمراد بالجرابين حديث حـفظت من رسول الله ﷺ وعاءين :

" فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم " قال البخارى البلعوم مجرى الطعام ثم واصل الحافظ قوله : وأن المراد ما يقع من الفتن ونحوه عن حذيفة وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العرنيين لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة فى سفك الدماء بتأويله الواهى ، وضابط ذلك أن يكون الحديث يقوى البدعة وظاهره فى الأصل غير مراد ، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب والله أعلم (ج١ ص٢٧٢) .

ولهذه الأدلة نرى من الضرورى أن يبتعد العالم من الدخول فى الجدل العقيم مع هؤلاء المبتدعة الذين تتجارى بهم الأهواء إلى غير نهاية وليس لهم هدف سوى هدم الإسلام واضلال العوام وليس لهم سلف فى هذا إلا أرباب الأهواء نسأل الله الهداية ونعوذ بالله من مهاوى الهلاك والغواية .

حكم الخائضين فى المتشابه

قلت إن الخائضين فى المتشابه فى الكتاب أو السنة، إما ان يكون قصدهم التشكيك فى القرآن وإضلال العوام كما هو شان الزنادقة والملاحدة والطاعنين فى القرآن فى معانيه أو تركيب مبانيه، أو يكونوا يفعلون ذلك طلبا لنشر عقيدة التجسيم والتشبيه كما هو شأن المجسمة الذين يعمد احدهم إلى متشابه الآيات والأحاديث فيجمعها كلها فى مكان واحد ويرتب منها صورة كاملة الأعضاء أو مشوهة لخلوها حتى من بعض الأعضاء التى بها تتم صورة الإنسان أو شكله حتى يحملوا العامة على الإعتقاد بأن البارى تبارك وتعالى جسم مجسم وصورة مصورة ذات وجه بلا رأس وبعين أو أعين ويد بل أيد وقدم وساق وإصبع واصبعين بل أصابع إلى غير ذلك، واما ان يكون ذلك لطلب حصرها وتأويلها تأويلا يليق بجلال الله وعظمته مع التنزيه التام والإيمان بالنصوص على انها حق من عند الله أو يكون لمجرد السخرية والإستهزاء بالآيات كما يفعل بعض المستشرقين الذين يعترضون على القرآن لمجرد التفكه وهم أصلاً من غير المؤمنين فالقسم الأول والثانى حكمهم الكفر وعقوبتهم القتل وتطهير المجتمع منهم والقسم الثالث جائز مع ان الأولى التفويض والتسليم واما القسم الرابع فيفعل بهم ما

فعل سيدنا عمر بصبيغ بن عسل العراقى نقل العلامة القرطبى عن أبى بكر الأنبارى كلاماً جيداً فى هذا الموضوع قال قال أبو بكر الأنبارى : وقد كـان الأئمة من السلف يعـاقبـون من يسأل عن تفـسيـر الحروف المشكلات فى القرآن، لأن السـائل إن كان يبغى بسؤاله تخليـد البدعة وإثارة الفتـنة فهو حـقيق بالنكيـر وأعظم التعـزير، وان لم يكن ذلك مقصـده فقد استـحق العتب بما اجترم من الذنب إذ أوجـد (برعونته) للمنافـقين الملحدين فى ذلك الوقت سـبيـلا إلى أن يقصـدوا ضعـفة المسلمين بالتـشكيك والتضليـل فى تحريف القـرآن عن مناهج التنزيل وحقـائق التأويـل، قال فمـن ذلك ما حدثـنا إسمـاعيل بن اسـحاق القاضى، أنبـأنا سليمان بن حرب، عن حـماد بن زيد، عن يزيد بن حازم، عن سليـمان بن يسـار أن صبيغ بن عـسل قدم المدينة فـجعل يسأل عن مـتشابه القرآن وعن أشـياء فبلغ ذلك عـمر رضى الله عنه فبعث إليه عمر فاحـضره وقد أعد له عراجين من عراجين النخل فلما حضر قال له عمر من أنت قال : أنا عـبد الله صبيغ فقال عمر رضى الله عنه وأنا عبد الله عمر ثم قال إليه فـضرب بعرجون فشجه ثم تابع ضربه حتى سال دمه على وجهه فقال حسبك ياأمير المؤمنين فقد والله ذهب مـا كنت أجـد فى رأسـى أنتـهى (جـ٢ ص ١٢٥٦) الجـامع لأحكام القرآن.

وجاء أيضا فى كتابنا : الإقتصاد فـى تصحيح قواعد الإعتقاد تحت عنوان :-

أهل السنة والجماعة

اعلم أننا فى هـذا الكتـاب نسلك مـسلك النقل دون الإغـراق فى التحليل وذلك من أجل إقامة الحجة على هؤلاء المبتدعة الذين انتحلوا الإنتساب إلى أهل السنة والجمـاعة تارة، وإلى مذهب السلف الصالح تارة أخرى، وهم فى الحـقيقـة لا مع هؤلاء ولا مع أولئك وذلك لأن المسلك الذى سلكوه فى المتشابهات يدل دلالة واضحة على أنهم على مذهب المشبهة وليس إنتسابهم إلى أهل السنة والجماعة أو إلى السلف الصالح إلا من باب التلـبيس والدعاوى الخاليـة من كل بينة والمذاهب كما نبهنا مراراً فى أبحاث هذا الكتاب تنقسم إلى ثلاثة مذاهب :-

الأول : مذهب أهل التعطيل الـذين ردوا صحيح الآثار الواردة عن النبى ﷺ وانحـرفوا بـنصوص القـرآن فـيمـا لا تصل إليـه عقـولهم بتأويلات هى شبيهـة بالتحريف والتبديل ، وهم المعتزلة والجهمية ومن لف لفهم .

الثانى : مذهب المشبهة الذين حملوا جميع المتشابه سوأء كان قطعى الورود أو ظنى الورود على ظاهره فبالغوا فى الإثبات حتى أفضى بهم الأمر إلى صريح التشبيه ولو تستروا بنفى صدق ما ينسبونه إلى البارى

من صفات على مثله فى حق البشر فيقولون فى شرحهم للعقيدة ماهو تناقض صريح عند العقلاء .

الثالث: مذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بكل قطعى أوصحيح ثبتت نسبته إلى رسول الله ﷺ من آيات القرآن أو السنة التى رواها العدول الأثبات من ثقات أهل العلم وما ثبت أنه من المتشابه يفوضون علم حقيقته إلى الله مع تنزيهه عن الظاهر الذى يلزم منه تشبيه أو تجسيم عملا بقوله تعالى ﴿**ليس كمثله شىء وهو السميع البصير**﴾ (الشورى: ١١) وقوله تعالى ﴿ **ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ (الإخلاص: ٤) .

ولا يؤولون إلا لضرورة كظهور مبتدع يريد أن يشوش على الناس عقائدهم ولما كثر مثل هؤلاء المبتدعة من المجسمة والمشبهة أو المعطلة والملاحدة تصدى لهم بعض المتأخرين من أهل السنة والجماعة سالكين فى تأويل بعض النصوص تأويلاً قريبا يحتمله النص لغة وذلك علما منهم بأن لغة القرآن والإسلام كله هى العربية فأولوا فى المتشابه تأويلاً معتدلاً لم يرد فى الشرع ما يمنعه أو يحرمه ولم يقطعوا بكون المعنى الذى أولوا النص به هو مراد الله عز وجل وإياك أن تصغى إلى التهويل الذى تراه مبسوطا فى مؤلفات بعض من نحى إلى مذهب المشبهة ولو انتسب زوراً إلى أهل الحديث أو إلى أهل السنة والجماعة .

وأما التأويل البعيد الذى يخرج النص من دائرة حدوده اللغوية فهو تحريف لا نقبله ونرده على من جاء به كائنا من كان كما سيأتى فى كلام ابن دقيق العيد وغيره ، كما أن دعوى بعض المكابرين بأن كل ما جاء فى الكتاب والسنة يجب حمله على ظاهره وأنه ليس فيما أنزل الله أو قاله رسوله تشبيه فمكابرة ومغالطة لا تصدر إلا ممن قل يقينه وهان عليه دينه فأسره تقليده لمن لا يملك له ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولاحياة ولا نشوراً .

وكل ما رأيته فى كلام السلف الصالح ماعدا المشبهة من بعض أتباع المذهب الحنبلى يتقيدون فيه بما أشرنا إليه من الإثبات والتنزيه مع التفويض لذلك ثبت عن معظمهم قولهم: أمروها كما جاءت ، ويقول البعض نؤمن بها ولا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل كما ستراه مبسوطا فى هذا الكتاب وكل من حملها على ظاهرها المفهوم من اللغة وادعى إتباع السلف الصالح تحت أى شعار من الشعارات فهو مبتدع ضال يجب إرشاده إن كان جاهلاً أو هجرانه وتحذير المسلمين منه إن كان مقلداً لبعض تلك الفرق الضالة المعروفة بجهلها المركب .

قال الحافظ الزبيدى : فى شرح الإحياء فى بيانه لمذهب أهل السنة والجماعة فى المتشابه : ولا تؤول المتشابهات ويفوض أمرها إلى الله تعالى مع التنزيه عن إرادة ظواهرها واختاره مالك والشافعى وابن

حنبل والحارث المحاسبى والقطانى والقلانسى كما فى التبصرة البغدادية انتهى(ج٢ ص ١٧) وسيأتى مزيداً من النقل عن السلف الصالح فى هذا الموضوع وتحت عنوان إذا أُطلِقَ أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية :

قال الخيالى فى حاشيته على شرح العقائد : الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة هذا هو المشهور فى ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الأقطار، وفى ديار ماوراء النهر، يطلق ذلك على الماتريدية أصحاب الإمام أبى منصور وبين الطائفتين إختلاف فى بعض المسائل كمسألة التكوين وغيرها، أهـ.

وقال الكستلى فى حاشيته عليه : المشهور من أهل السنة فى ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الأقطار هم الأشاعرة أصحاب أبى الحسن الأشعرى ، أول من خالف أبا على الجبائى ، ورجع عن مذهبه إلى السنة أى طريق النبى ﷺ والجماعة أى طريقة الصحابة رضى الله عنهم ، وفى ديار ما وراء النهر الماتريدية أصحاب أبى منصور الماتريدى، تلميذ أبى نصر العياضى تلميذ أبى بكر الجوزجانى صاحب أبى سليمان الجوزجانى ، صاحب محمد بن الحسن ، صاحب الإمام أبى حنيفة وبين الطائفتين اختلاف فى بعض الأصول كمسألة التكوين ، ومسألة الاستثناء فى الإيمان ، ومسألة إيمان المقلد

والمحققون من الفريقين لا ينسب أحـدهما الآخر إلى البدعة والضلالة أهـ .

وقال ابن السـبكى فى شرح عـقيدة ابن الحـاجب : اعلم أن أهل السنة والجماعة كلهم قـد اتفقوا على معتقد واحد فـيما يجب ويجوز ويستـحيل ، وإن اختلفوا فى الـطرق والمبادىء الموصلة لذلك، أو فى لمية ما هنالك ، وبالجملة، فهم بالاستقراء ثلاث طوائف .

الأولى : أهل الحديث ومعتمد مبادئهم الأدلة السمعية أعنى الكتاب والسنة والإجماع .

الثانـية : أهل النظر العـقلى والصناعـة الفكرية وهم الأشعـرية ، والحنفيـة وشيخ الأشعـرية أبو الحسن الأشـعرى ، وشيخ الحنفـية أبو منصور المـاتريدى وهم متفـقون فى المبـادىء العقليـة فى كل مطلب يتوقف السمع عليه ، وفى المبادىء السمعـية فيما يدرك العقل جوازه فـقط والعقليـة والسـمعـية فى غـيرها واتفـقـوا فى جمـيع المطالب الاعتقادية إلا فى مسألة التكوين ومسألة التقليد .

الثالثة : أهل الوجدان والكشف ، وهم الصوفيـة ومبادئهم مبادىء أهل النظر والحديث فى البداية والكشف والإلهام فى النهاية أهـ .

وليـعلم أن كـلاً من الإمامين أبى الحـسن وأبى منصـور رضى الله عنهما وجزاهما عن الإسلام خيراً لم يبدعا من عندهما رأياً ولم يشتقا

مذهباً إنما هما مقرران لمذهب السلف مناضلان عما كانت عليه أصحاب رسول الله ﷺ، فأحدهما قام بنصرة نصوص مذهب الشافعى وما دلت عليه ، والثانى قام بنصرة نصوص مذهب أبى حنيفة وما دلت عليه، وناظر كل منهما ذوى البدع والضلالات حتى انقطعوا وولوا منهزمين، وهذا فى الحقيقة هو أصل الجهاد الحقيقى الذى تقدمت الإشارة إليه ، فالإنتساب إليهما إنما هو باعتبار أن كلاً منهما عقد على طريق السلف نطاقاً وتمسك وأقام الحجج والبراهين عليه ، فصار المقتدى به فى تلك المسائل والدلائل يسمى أشعرياً وما تريدياً ، وذكر العز بن عبد السلام أن عقيدة الأشعرى أجمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة ، ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية فى زمانه أبو عمرو بن الحاجب وشيخ الحنفية جمال الدين الحصيرى ، وأقره على ذلك التقى السبكى فيما نقله عنه ولده التاج، وفى كلام عبد الله الميورقى المتقدم ذكره ما نصه: أهل السنة من المالكية والشافعية وأكثر الحنفية بلسان أبى الحسن الأشعرى يناضلون وبحجته يحتجون ، ثم قال : ولم يكن أبو الحسن أول متكلم بلسان أهل السنة إنما جرى على سنن غيره أو على نصرة مذهب معروف ، فزاد المذهب حجة وبياناً ولم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهباً انفرد به ألا ترى أن مذهب أهل المدينة نسب إلى مالك

ومن كان على مذهب أهل المدينة يقـال له مالكى ، ومالك إنما جرى على سنن من كان قـبله وكان كثيـر الإتباع لهم إلا أنه لما زاد المذهب بياناً وبسطاً عزى إليه ، كذلك أبو الحسن الأشعرى لا فرق ليس له فى مذهب السلف أكثـر من بسطه وشرحه وتواليفـه فى نصرته ، ثم عدد خلقاً من أئمة المالكـية كانوا يناضلون عن مذهب الأشعـرى ويبدعون من خالفه أهـ .

قال التاج : المالكية أخص الناس بالأشعرى إذلا نحفظ مالكياً غير أشعـرى ويحفظ من غـيرهم طوائف جنحـوا إما إلى اعـتزال أو إلى تشبيه ، وإن كان من جنح إلى هذين من رعاع الفرق .

وذكر ابن عـساكـر فى التبـيين أبا العبـاس الحنفى يعرف بـقاضى العسكر ،ووصفه بأنه من أئمة أصحاب الحنفية ،ومن المتقدمين فى علم الكلام وحكى عنه جـملة من كـلامه ، فـمن قوله : وجـدت لأبى الحسن الأشعرى كتباً كثيرة فى هذا الفن يعنى أصول الدين وهو قريب من مائتى كـتاب ، والموجز الكبـير يأتى على عامـة ما فى كتبـه وقد صنف الأشعرى كـتاباً كبيراً لتصحـيح مذهب المعتزلة فإنه كـان يعتقد مذهبـهم ، ثم بين الله ضلالـتهم فبـان عمـا أعتـقده من مذهـبهم ، وصنف كتـاباً ناقضاً لما صنف للمـعتزلة ، وقـد أخذ عامة أصـحاب الشافعى بما استقر عليه مذهب أبى الحسن ، وصنف أصحاب الشافعى

كتباً كثيرة على وفق ما ذهب إليه الأشعرى إلاَّ أن بعض أصحابنا من أهل السنة والجماعة خطأ أبا الحسن فى بعض المسائل مثل قوله : التكوين والمكون واحد ونحوها فمن وقف على المسائل التى أخطأ فيها أبو الحسن وعرف خطأه فلا بأس له بالنظر فى كتبه فقد أمسك كتبه كثير من أصحابنا من أهل السنة والجماعة ونظروا فيها . انتهى (ج٢ص٨-١٠) إتحاف السادة المتقين.

ثم أشار إلى مأخذ كل واحد من هؤلاء الأئمة والأصول التى اعتمد عليها فيما ذهب إليه من مسائل المعتقد فقال : هذه المسائل التى تلقاها الإمامان الأشعرى والماتريدى هى أصول الأئمة رحمهم الله تعالى فالأشعرى بنى كتبه على مسائل من مذهب الإمامين مالك والشافعى أخذ ذلك بوسائط فأيدها وهذبها ، والماتريدى كذلك أخذها من نصوص الإمام أبى حنيفة وهى فى خمسة كتب: الفقه الأكبر ، والرسالة ، والفقه الأبسط، وكتاب العلم والمتعلم والوصية نسبت إلى الإمام ، واختلف فى ذلك كثيراً فمنهم من ينكر عزوها إلى الإمام مطلقاً، وأنها ليست من عمله ، ومنهم من ينسبها إلى محمد بن يوسف النجارى المكنى بأبى حنيفة،وهذا قول المعتزلة لما فيها من إبطال نصوصهم الزائغة وادعائهم كون الإمام منهم كما فى المناقب الكردرية، وهذا كذب منهم على الإمام ، فإنه رضى الله عنه وصاحباه أول من

تكلم فى أصول الدين وأتقنها بقواطع البراهين على رأس المائة الأولى، ففى التبصرة البغدادية أول متكلمى أهل السنة من الفقهاء أبو حنيفة ألف فيه الفقه الأكبر والرسالة فى نصرة أهل السنة ، وقد ناظر فرقة الخوارج والشيعة والقدرية والدهرية، وكانت دعاتهم بالبصرة فسافر إليها نيفاً وعشرين مرة، وفضهم بالأدلة الباهرة، وبلغ فى الكلام إلى أنه كان المشار إليه بين الأنام واقتفى به تلامذته الأعلام أهـ.

وفى مناقب الكردرى عن خالد بن زيد العمرى أنه كان أبو حنيفة، وأبو يوسف ، ومحمد، وزفر، وحماد بن أبى حنيفة قد خصموا بالكلام الناس أى الزموا المخالفين وهم أئمة العلم ، وعن الإمام أبى عبد الله الصيمرى أن الإمام أبا حنيفة كان متكلم هذه الأمة فى زمانه وفقيههم فى الحلال والحرام ، وقد علم مما تقدم أن هذه الكتب من تأليف الإمام نفسه ، والصحيح أن هذه المسائل المذكورة فى هذه الكتب من أمالى الإمام التى أملاها على أصحابه كحماد ، وأبى يوسف ، وأبى مطيع الحكم بن عبد الله البلخى، وأبى مقاتل حفص بن مسلم السمر قندى ، فمنهم الذين قاموا بجمعها ، وتلقاها عنهم جماعة من الأئمة كإسماعيل بن حماد ، ومحمد بن مقاتل الرازى ، ومحمد بن سماعة ، ونصير بن يحيى البلخى ، وشداد بن الحكم وغيرهم إلى أن وصلت بالإسناد الصحيح إلى الإمام أبى منصور

الماتريدى ، فمن عزاهن إلى الإمام صح لكون تلك المسائل من إملائه، ومن عزاهن إلى أبى مطيع البلخى أو غيره ممن هو فى طبقته أو ممن هو بعدهم صح لكونها من جمعه ، ونظير ذلك المسند المنسوب للإمام الشافعى ، فإنه من تخريج أبى عمرو محمد بن جعفر بن محمد بن مطر النيسابورى لأبى العباس الأصم من أصول الشافعى، ونحن نذكر لك من نقل من هذه الكتب واعتمد عليها ، فمن ذلك فخر الإسلام على بن محمد البزدوى، قد ذكر فى أول أصوله جملة من الفقه الأكبر وكتاب العالم والرسالة ، وذكر بعض مسائل الكتب المذكورة فى كل من شروح الكافى لحسام الدين السغناقى ، والشامل للقوام الاتقانى ، والشافى لجلال الدين الكولانى ، وبيان الأصول للقوام السكاكى ، والبرهان للنجارى ، والكشف لعلاء الدين النجارى ، والتقرير لكمال الدين البابرتى ، وذكرت الرسالة بتمامها فى أواخر خزانة الأكمل للهمدانى ، وذكرها الإمام الناطفى فى الأجناس ، وذكر كثير من مسائل كتاب العالم فى المناقب للإمام نجم الدين النسفى ، وللخوارزمى ، والكشف لأبى محمد الحارثى الحافظ ، وبعضها فى نكاح أهل الكتاب فى المحيط البرهانى ، وذكر بعض مسائل الفقه الأكبر شيخ الإسلام محمد بن إلياس فى فتاويه وابن الهمام فى المسايرة ، وذكر بعض مسائل الفقه الأبسط الإمام أبو المعين النسفى فى

التبصرة فى فصل التقليد وغيره ، ونور الدين البخارى فى الكفاية فى فصل التنزيه ، وحافظ الدين النسفى فى الاعتماد شرح العمدة ، وكشف المنار والناطفى فى الأجناس، والقاضى أبو العلاء الصاعدى فى كتاب الاعتقاد ، وأبو شجاع الناصرى فى البرهان الساطع شرح عقائد الطحاوى، وأبو المحاسن محمود القونوى فى شرحها أيضاً ، وشرحه الفقيه عطاء بن على الجوزجانى شرحاً نفيساً ، وذكر الوصية بتمامها الإمام صارم المصرى فى نظم الجمان ، ومن المتأخرين القاضى تقى الدين التميمى فى الطبقات السنية ، والقاضى أبو الفضل محمد بن الشحنة الحلبى فى أوائل شرح الهداية ، وذكر بعض مسائلها ابن الهمام فى المسايرة ، وشرحها الشيخ أكمل الدين البابرتى ، فقد ذكر جملاً من مسائل الكتب الخمسة منقولاً عنها فى نحو ثلاثين كتاباً من كتب الأئمة ، وهذا القدر كاف فى تلقى الأمة لها بالقبول، والله أعلم انتهى (ج٢ص ١٨-١٩) إتحاف السادة المتقين .

قبول أحاديث الصفات دون تفسير

فإذا عرفت معنى أهل السنة والجماعة عند الإطلاق، فاعلم أنهم مجمعون على قبول كل ماصح من الأحاديث بالطرق المتفق عليها بين المحدثين بقوانينهم الدقيقة في نقد الرجال وتحليل المتون، ولكن تم اتفاقهم على عدم التعرض لتفسير تلك المتون المتشابهة علما منهم بأن تفسيرها بحسب ما تعطى ظواهر الألفاظ ليس إلا حملها على الظاهر وهو التشبيه بعينه مما يلزم منه، حدوث البارى جل وعلا أو محال آخر وهذا كفر صريح نعوذ بالله منه ولا تغتر بما يقوله من لا قدم له فى معرفة اللغة العربية، ولا قدم له فى العلوم العقلية، أو الأصول الشرعية المتفق عليها بين علماء الأمة فجهله بهذه القواعد قد يحمله على الجرءة بخوضه فيما لايحسنه، وهذا حال أكثر المدعين لاتباع السلف أو الانتماء إلى أهل السنة والجماعة، ولقد نقل العلامة الحافظ أبى القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائى رحمه الله فى كتابه القيم (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم) عن : أكثر العلماء هذا المذهب الذى أثبتناه هنا وهو الإيمان بالمتشابه دون تفسيره حيث أخرج بإسناده إلى مخلد بن الحسين قال : قال لى الأوزاعى يا أبا محمد :

إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديثا فلا تظنن غيره فإن محمداً ﷺ كان مبلغاً عن ربه .

ثم أخرج بإسناده إلى بقية (هو ابن الوليد) قال : ثنا الأوزاعى قال: كان الزهرى ومكحول يقولان : أمروا الأحاديث كما جاءت .

ثم أخرج بإسناده إلى عيسى بن موسى بن إسحاق الأنصارى قال سمعت أبى يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول: كل شىء وصف الله به نفسه فى القرآن فقراءته تفسيره لا كيف ولا مثل .

وأخرج بإسناده إلى محمد بن أحمد بن حفص قال ثنا أبى قال: قال أفلح بن محمد : قلت لعبد الله بن المبارك : يا أبا عبد الرحمن إنى أكره الصفة عَنَى صفة الرب جل وعز، قلت : بمعنى أراد الخوض فى صفات الرب .

فقال له عبد الله بن المبارك : أنا اشد الناس كراهة لذلك ولكن إذا نطق الكتاب بشىء وإذا جاءت الآثار بشىء جسرنا عليه - ونحو هذا .

قلت : مراده جسرنا على قراءته دون التعرض لتفسيره ثم قال : أخبرنا عبد الله بن محمد بن أحمد قال : أخبرنا عثمان بن أحمد قال ثنا حنبل قال: قلت لأبى عبد الله -يعنى الإمام أحمد بن حنبل - يكلم الله عبده يوم القيامة ؟

قال : نعم فمن يقضى بين الخلق إلا الله (يكلمه) الله عز وجل ويسأله .

الله عز وجل متكلم لم يزل بما شاء ويحكم، وليس لله عدل ولا مثل تبارك وتعالى كيف شاء وأنى شاء .

قلت : مراده أن الكلام صفة لله تعالى، وهو إذا أراد أن يسمع عباده كلامه أسمعهم، وليس مراده أنه يحدث كلاماً فالحدوث للإنكشاف وليس للكلام .

ثم أخرج بإسناده إلى أبى نصر أحمد بن يعقوب بن زاذان قال : بلغنى أن أحمد بن حنبل قرأ عليه رجل ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه** ﴾ (الزمر: ٦٧) قال : ثم أومأ بيده . فقال له : قطعها الله قطعها الله ثم حرد وقام .

قلت : ومثل هذا نقل عن الإمام مالك وغيره من الأئمة وسيأتى آخر الكلام ثم أخرج بإسناده عن عبيد الله بن أبى حنيفة الدوسى يقول: سمعت محمد بن الحسن يقول : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب (على) الإيمان بالقرآن والأحاديث التى جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ فى صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبى

ﷺ وفارق الجماعة فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما فى الكتاب والسنة ثم سكتوا .

فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه قد وصفه بصفة لا شىء .

وأخرج أيضا بإسناده إلى عمرو بن وهب يقول سمعت شداد بن حكيم : يذكر عن محمد بن الحسن فى الأحاديث التى جاءت " أن الله يهبط إلى سماء الدنيا " ونحو هذا من الأحاديث: إن هذه الأحاديث قد روتها الثقات فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها انتهى (ج٣ ص ٤٧٨-٤٨٠).

قال الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبى فى التمهيد : عندما قال نعيم بن حماد فى حديث النزول ينزل بذاته وهو على كرسيه.

ليس هذا بشىء عند أهل الفهم من أهل السنة ،لأن هذا كيفية وهم يفزعون منها ، لا تصلح إلا فيما يحاط به عيانا، وقد جل الله وتعالى عن ذلك وما غاب عن العيون ، فلا يصفه ذوو العقول إلابخبر، ولا خبر فى صفات الله إلا ما وصف نفسه به فى كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ ، فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير ، فإنه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير . انتهى (ج٧ ص ١٤٤-١٤٥).

ثم قال الذى عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر فى هذه المسألة وما أشبهها الإيمان بما جاء عن النبى ﷺ فيها والتصديق بذلك وترك التحديد والكيفية فى شىء منه فأخرج بإسناده عن أحمد ابن نصر أنه سأل سفيان بن عيينة قال: حديث عبد الله " إن الله عز وجل يجعل السماء على أصبع "وحديث " إن قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن " " وإن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره فى الأسواق " وأنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة ، ونحو هذه الأحاديث ؟ فقال : هذه الأحاديث نرويها ونقربها كما جاءت بلا كيف قال أبو داود : وحدثنا الحسن بن محمد قال: سمعت الهيثم بن خارجة قال: حدثنى الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعى وسفيان الثورى وملك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التى جاءت فى الصفات؟ فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيف .

وذكر عباس الدورى قال سمعت يحيى بن معين يقول : شهدت زكريا بن عدى سأل وكيع بن الجراح فقال : يا أبا سفيان هذه الأحاديث يعنى مثل الكرسى موضع القدمين ونحو هذا ؟ فقال : أدركت اسماعيل بن أبى خالد وسفيان، ومسعرا يحدثون بهذه الأحاديث ولا يفسرون شيئا .

قال عباس بن محمد الدورى: وسمعت أبا عبيد القاسم بن سلام

وذكر له عن رجل من أهل السنة : أنه كان يقول: هذه الأحاديث التى تروى فى الرؤية والكرسى موضع القدمين وضحك ربنا من قنوط عباده ، وان جهنم لتمتلىء وأشباه هذه الأحاديث وقالوا: ان فلانا يقول يقع فى قلوبنا أن هذه الأحاديث حق فقال : ضعفتم عندى أمره ، هذه الأحاديث حق لا شك فيها رواها الثقات بعضهم عن بعض ألا أنا إذا سئلنا عن تفسير هذه الأحاديث لم نفسرها ، ولم نذكر أحدا يفسرها ، وقد كان مالك ينكر على من حدث بمثل هذه الأحاديث ذكره أصبغ، وعيسى عن ابن القاسم قال: سألت ملكا عمن يحدث الحديث " ان الله خلق آدم على صورته " والحديث " ان الله يكشف عن ساقه يوم القيامة " ، وأنه يدخل فى النار يده حتى يخرج من أراد فأنكر ذلك إنكارا شديدا، ونهى أن يحدث به أحدا وإنما كره ذلك ملك خشية الخوض فى التشبيه بكيف هاهنا، وأخرج بإسناده إلى أحمد بن خالد قال: سمعت ابن وضاح سألت يحيى بن معين عن التنزل ؟ فقال: أقر به ولاتحد فيه بقول كل من لقيت من أهل السنة يصدق بحديث التنزل قال: وقال لى ابن معين : صدق به ولا تصفه ، (يعنى ولا تفسره ولا تحدد المعنى) .

وحدثنا أحمد بن سعيد بن بشر قال :حدثنا ابن أبى دليم قال : حدثنا ابن وضاح قال : سألت يحيى بن معين عن التنزل ؟ فقال :

أقر به ولا تحد فيه . انتهى (ج٧ ص ١٤٨-١٥١) .

وقال أبو عيسى الترمذى عقب حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الرؤية : وقد روى عن النبى ﷺ

روايات كثيرة مثل هذا ما يذكر فيه أمر الرؤية أن الناس يرون ربهم وذكر القدم وما أشبه هذه الأشياء .

والمذهب فى هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثورى، ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا : تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف ؟ وهذا الذى اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت، ويؤمن بها ولا تفسر، ولا تتوهم، ولا يقال كيف ، وهذا أمر أهل العلم الذى اختاروه وذهبوا إليه .

ومعنى قوله فى الحديث : فيعرفهم نفسه يعنى يتجلى لهم . انتهى (ج٤ ص ٢٥٢) .

وقال أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد (ج٧ ص١٤٥-١٤٦) روى حرملة بن يحيى قال سمعت عبد الله بن وهب يقول سمعت مالك بن أنس يقول : من وصف شيئا من ذات الله مثل قوله (وقالت اليهود يد الله مغلولة) وأشار بيده إلى عنقه ، ومثل قوله ﴿وهو السميع العليم﴾ (المائدة: ٦٤) وأشار إلى عينيه أو أذنه قطع ذلك منه

لأنه شبه الله بنفسه ثم قال مالـك: أما سمعت قول البراء حين حدث أن النبى ﷺ قال: لا يضـحى بأربع من الضحايا ، وأشار البـراء بيده كما أشار النبى ﷺ بيده قال البراء ويدى أقصر من يد رسول الله ﷺ فكره البراء أن يـصف رسول الله ﷺ إجلالاً له وهو مـخلوق فكيف الخالق الذى ليس كمثله شىء أهـ .

قلت : والكيف يراد به فى كـلام المتقدمين من السـلف التفسـير والكيفيـة، وليس معناه الحقيقة ونفـيه نفى لمعرفة الحقيـقة لأنه لا أحد يستطيع أن يدعى معرفة حقيقـة الذات، أو الصفات وإنما ينفون تفسير تلك الألفاظ بما يتبادر إلى الذهن من ظاهر معناها فى اللغة، وبعضهم يحاول تحريف هذا المعنى إلى دعوى ان الكيف أو الكيفـية التى ينفيها السلف يعنون بهـا حقيـقة الوصف، ليـفتح لنفسـه باب تفسـير تلك الألفاظ بمقتـضى اللغة، دون مراعاة لما يجوز أو يمتنع فى حـقه تعالى وهو خطأ وباطل ولا يجـوز لأحد أن ينسـبه إلى السلـف رضوان الله عليهم.

التأويل عند أهل السنة

أصل التأويل في اللغة : المرجع والمصير ، من قولك آل الأمر إلي كذا، إذا صار إليه، وأولته تأويلاً إذا صيرته إليه .هذا هو معني التأويل في اللغة ، ثم يسمي التفسير تأويلاً ، قال الله تعالي ﴿**سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً**﴾ (الكهف: ٧٨) وقال تعالي ﴿ **وأحسن تأويلاً** ﴾ (الإسراء: ٣٥) . وذالك أنه إخبار عما يرجع إليه اللفظ من المعني .

وقال القرطبي :والتأويل يكون بمعني التفسير، كقولك : تأويل هذه الكلمة علي كذا، ويكون بمعني ما يؤول الأمر إليه، واشتقاقه من آل الأمر كذا يؤول الأمر أي صار وأولته تأويلاً أي صيرته، وقد حده بعض الفقهاء فقالوا ﴿ **لا ريب فيه** ﴾ (البقرة: ٢) أي لا شك،وأصله من الفسر وهو البيان، يقال فسرت الشيء [مخففا] أفسره (بالكسر) فسراً والتأويل : بيان المعني كقوله: لا شك فيه عند المؤمنين ، أو لأنه حق في نفسه فلا يقبل ذاته بشك ، وإنما الشك وصف الشاك ، وكقول ابن عباس رضي الله عنهما في الجد أبا؛ لأنه تأول قول الله عز وجل ﴿ **يا بني آدم** ﴾ (الأعراف: ٢٦- ٢٧) .

وقال الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالي: التأويل إخراج

اللفظ عن ظاهر معناه إلي معني آخر سيحتمله ، وليس هو الظاهر فيه، وشروط التأويل ثلاثة :

١ - أن يكون اللفظ محتملاً ، ولو عن بعد للمعني الذي يؤول إليه ، فلا يكون غريبا عنه كل الغرابة .

٢ - أن يكون ثمة موجب للتأويل بأن يكون ظاهر النص مخالفاً لقاعدة مقررة معلومة من الدين بالضرورة ، أي مخالفاً لنص أقوي منه سنداً، كأن يخالف الحديث رأياً ويكون الحديث قابلا للتأويل، فيؤول بل يرد ، أو يكون النص مخالفاً لما هو أقوي منه دلالة ، كأن يكون اللفظ ظاهراً في الموضوع والذي يخالفه نص في الموضوع ، أو يكون اللفظ نصاً في الموضوع ، والذي يخالفه مفسر ، ففي كل هذه الصور يؤول قلت : ولا يخفى أن هذه المصطلحات النص الظاهر المفسر- إلخ. لا يدرك معناها سوى من درس الأصول وفهمها وإلا خبط فى فهمها خبط عشواء ولم يعرها أدنى إهتمام .

٣ - أن لا يكون التأويل من غير سند، بل لابد أن يكون له سند ومستمد من الموجبات أهـ . (ص٥٩-٦٠) الإيضاح .

الحاجة إلي التأويل في أخبار الصفات : -

قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالي ﴿ **فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله** ﴾ (آل عمران: ٧) قال شيخنا أبو العباس

رحمـه الله تعالى متـبعـو المتشـابه لا يخلو أن يتبعـوه ويجمعـوه طلباً للتشكيك في القـرآن وإضلال العـوام كمـا فعلته الزنادقـة والقرامطة الطاعنون في القـرآن ، أو طلباً لإعـتقاد ظواهر المتـشابه كـما فـعلته المجسـمة الذين جمـعوا ما في الكتـاب والسنة مما ظاهره الجسـميـة ، حتي اعتقدوا أن الباري تعالي جـسم مجسم وصورة مصورة ذات وجه وعين ويد وجنب ورجل وأصبـع ، تعالي الله عن ذالك ، أو يتبـعوه علي جهة إبداء تأويلاتها وإيضاح معانيـها ، أو كما فعل صبيغ حين أكثر علي عمر فيه السؤال ، فهذه أربعة أقسام : -

الأول : لاشك في كفـرهم ، وأن حكم الله فيـهم القتل من غـير استتابة ·

الثاني : الصحيـح الـقول بتكفيرهم ؛ إذ لا فرق بيـنهم وبين عباد الأصنام، والصور ، ويستتابون ، فإن تابوا ، وإلا قتلوا كما يفعل بمن ارتد·

الثـالث : اخـتلفـوا في جـواز ذالك بناء علي الخـلاف في جـواز تأويلهـا، وقد عـرف بأن مذهب السلـف ترك التعـرض لتأويلهـا مع قطعهم باستـحالة ظواهرها فيقولون : أمروها كـما جاءت ، وذهب بعضـهم إلي إبداء تأويلاتهـا وحملها علي مـايصح حمله فـي اللسان عليها من غير قطع بتعيين مجمل عنها·

الرابع : الحكم فيه التـأديب البليغ، كما فعلـه عمر رضي الله عنه بصبيغ .

وجه الحاجة إلي التأويل عند أهل السنة والجماعة :

١ - التـأويل اتبـاع لما أمـرنا به من التـسليم بالمتـشابه ، والأخـذ بالمحكم ، وحـمل المتـشـابه علي المحكم لظهـور مـعني المحكم دون المتشابه .

٢- التأويل حق من أجل أن لا يقع المؤمن في متناقضات حين يقرأ من الآيات مثلا وأنموذجـاً من إضافة العين إليه سـبحانه ، والأعين ، واليدين ، والأيـدي وأنه في السماء، وفي الأرض ، وهو مـع خلقه أينما كانوا إلي غير ذلك ، فإنه إذا تركنا النصوص علي ظاهرها وقعنا في التناقض، وهو محال في القرآن الكريم ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾ (النساء: ٨٢) ولكن حين ننـزه الله تعالي حيال جـميع تلك النصوص وأشـباهها عن مشـابهة خلقـه ، ثم نكل معاني تلك النصوص إلي الله عز وجل، نكون قد سلمنا من التناقض في الفهم ، وسلمنا القرآن الكريم من توهم أي تناقض فيه، ثم سواء كان التـأويل إجمـالياً أو تفصـيلياً فـهو المخلص الوحيـد من التناقض والتخالف في صفات الله تعالي ، وفي كتابه العظيم .

٣ - التأويل سـواء كان إجمـالياً، أو تفـصيلياً هو مـسلك السلف

الصالح من الصحابة ومن بعدهم وهم أعظم الناس فهماً للإسلام بعد رسول الله ﷺ .

٤ - التأويل المقول به عند أهل السنة والجماعة هو الأمر العاصم للعامة خاصة من الوقوع في التشبيه والتجسيم بإذن الله تعالي .

٥ - وإنما يعمد إلي التأويل التفصيلي -كما تقدم- عند الحاجة إليه .

٦ - ومن شروط التأويل أن يكون وفق أصول العربية ، وأساليب البيان عند العرب ، وأن ما خرج علي أصول العربية ، وأساليب البيان عند العرب ليس تأويلاً مشروعاً ، ولا مقبولاً .

قال ابن دقيق العيد : إن كان التأويل قريباً من لسان العرب لم ينكر ، أو بعيداً توقفنا عنه وآمنا بمعناه علي الوجه الذي أريد به مع التنزيه، وما كان من هذه الألفاظ ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب قلنا به من غير توقف كما في قوله تعالي ﴿ **يا حسرتي علي ما فرطت في جنب الله** ﴾ (الزمر: ٥٦) فنحمله علي حق الله تعالي وما يجب له أهـ.

وقال عند شرح قوله صلي الله عليه وسلم " وأنا أغير منه والله أغير مني " الحديث: المنزهون لله تعالي إما ساكت وإما مؤول ، والثاني يقول : المراد بالغيرة المنع من الشيء والحماية ، وهما من

لوازم الغيرة فـأطلقت علي سبيـــل المجــاز كالمــلازمـة، وغيرها من الأوجه الشائعة في لسان العرب أهـ (ص٦١-٦٢) إيضاح .

الخاتمـــة

إن ما تـقدم فى هذا الموضـوع من الشروح يكفى العـاقل المنصف ولكن لا حيـاة لمن تنادى، فوجب ان نواصل النقـول عن كبـار علماء أهل السنة ممن بلغـوا الغـاية فى علمى المعـقول والمنقـول، فـقد قـال صاحب مـقدمـة كتاب إيضـاح الدليل عن هذا الموضوع كلمـة تعتـبر الفيصل أو الخلاصة فى هذا الباب فقال حفظه الله :-

كلمة جامعـة هي قاعدة عامة في باب حكم التـأويل ومواضعه إن شاء الله تعـالي قـال القـاضي أبو بكـر بن العربي رحمـه الله تعالي في كتابه النافع (الـعواصم من القواصم) والأحاديث الصحـيحة في هذا الباب - يعني في باب الصفات - علي ثلاث مراتب :-

الأولي : مـا ورد من الألفاظ وهو كـمال مـحض ليس للنقـائص والآفات فيه حظ. فهذا يجب اعتقاده ·

والثانـية : ما ورد وهو نقص مـحض ، فهـذا ليس لله تعالي فـيه نصيب، فلا يـضاف إليه إلا وهو محجـوب عنه في المعني ضرورة ، كقوله (عبدي مرضت فلم تعدني) وما أشبهه ·

الثالثة : ما يكون كمالاً ، ولكنه يوهم تشبيهاً·

فأما الذي ورد كمالاً محضاً كالوحدانية والعلم والقدرة والإرادة ،

والحياة والسمع، والبصر ، والإحاطة والتقدير، والتدبير ، وعدم المثل والنظير، فلا كلام فيه ولا توقف .

وأما الذي ورد بالآفات المحضة، والنقائص كقوله تعالي: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ (البقرة: ٢٤٥) وقوله (جعت فلم تطعمني، وعطشت) فقد علم المحفوظون والملفوظون والعالم والجاهل أن ذالك كناية عمن تتعلق به هذه النقائص، ولكنه أضافها إلي نفسه الكريمة المقدسة تكرمة لوليه، وتشريفاً، واستلطافاً للقلوب وتليينا ...

وإذا جاءت الألفاظ المحتملة التي تكون للكمال بوجه، وللنقصان بوجه ، وجب علي كل مؤمن حصيف أن يجعلها كناية عن المعاني التي تجوز عليه، وينفي ما لا يجوز عليه .

فقوله في اليد والساعد، والكف، والأصبع عبارات بديعة .. تدل علي معان شريفة: فإن الساعد عند العرب عليها كانت تعول في القوة والبطش والشدة فأضيف الساعد إلي الله ؛ لأن الأمر كله لله ، كما أضيف إليه الموسي في الحديث ، وكذلك قوله : "إن الصدقة تقع فى كف الرحمن عبر بها عن كف المسكين تكرمة له وما يقلب بالأصابع يكون أيسر وأهون ويكون أسرع إلى آخره أهـ . ص٦٤ من المصدر السابق .

هذه النقول جئنا بها دون أن نتصرف فيها بالتغيير، بالزيادة، أو النقصان حرصا منا إلى نقل صورة إعتقاد السلف والذين سلكوا سبيلهم إلى من لم يصبهم هذا الداء العضال أعنى داء بدعة الزيغ والتشبيه، والتجسيم التى انتشرت فى طول بلاد المسلمين وعرضها ولقد ذكرت فى كتابى الإقتصاد الذى تقدم ذكره.

ومن المعلوم أن هؤلاء المبتدعة لا يكفون أبداً عن ذكر السلف والكتاب والسنة، وصحة العقيدة، وفساد العقيدة، ودعواهم دائماً تدور حول هذا الموضوع، مع شدة الإصرار على إلصاق تهمة التشبيه بالسلف الصالح وهم برآء منها ومن كل زيغ وابتداع فى الدين، فجمعنا هذه النقول عن المتقدمين والمتاخرين لإظهار باطل هذه الفرقة الضالة وكذبها فى دعوى التمسك بما عليه السلف، وإيغالها فى تكفير سواد الأمة الأعظم سنة وشيعة لمجرد الخلاف فى بعض المفاهيم الظنية التى تختلف فيها مذاهب الناس وافهامهم.

ومما يجب ان نكرر التنبيه عليه، هو أن جهلة معتقدى التجسيم فى هذا العصر خاصة المقلدة منهم يكفرون كل من فوض فى المتشابه، وأنكر حمله على الظاهر المتبادر من اللغة العربية متهمين إياه بالتعطيل أو التجهم ﴿**فقد جاءوا إفكا وزوراً**﴾ (الفرقان: ٤) ويحاولون إقناع العامة بقولهم أنظروا إلى النص القرآنى يطلق هذا الوصف على الله

تعالى دون حرج، فكيف يجوز لأحد بعد هذا أن يتوقف فى إطلاقه، أو تصديقه فإن إستوى تعنى إستقر أى جلس وتمكن، ومن أنكر ذلك فقد كذب القرآن وهكذا الأمر فى قوله تعالى: **﴿من فى السماء﴾** (تبارك: ١٧) أو **﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾** (النحل: ٥٠) يجب أن يفهم من هذه الألفاظ كلها ظاهرها، ومن لم يقبل ذلك فهو معطل جهمى . والقوم أغلبهم فى إفريقيا من الأعاجم الذين لا يميزون البعرة من البعير، أو من العوام الذين يظنون أن كل مدور رغيف، أو الغاغة الذين لا هم لهم إلا الشغب، ولا قدم لهم فى تحرير هذه القضايا بميزان العلم أو منطق العقل، وليس فى جعبتهم سوى كيل التهم والشتائم لمن خالفهم جزافاً، ولذلك وقعوا فيما يهدم دينهم ويبطل إسلامهم دون أن يحسوا أو يشعروا، ولو عقلوا معنى استحالة ملابسة الحوادث للقديم، وأنه تعالى ليس كمثله شىء وأن مجرد الاشتراك فى الأسماء لا يدل على التماثل بين المسميات لسلموا، فالله تبارك وتعالى إذا استوى فإن ذلك الإستواء فى حقه يكون حقا، ولكن بمعنى غير استواء الحوادث، وهكذا فوقيته وذلك لأنه تعالى كان موجوداً وموصوفا بهذه الصفات كلها قبل وجود هذه الحوادث، و النهب والإضافات فهو موجود وموصوف بالإستواء قبل وجود العرش، وموصوف بالفوقية قبل وجود الأماكن والأزمنة والجهات، والأوضاع

كلها ولا يقال إنه تعالى حدث له وصف من إيجاده للكائنات، لأن المعنى الذى يدل عليه الوصف لا يكون مشتقا من الوصف وإلا لكان حادثا له وللزم منه إتصاف الحق بمعنى حادث لم يكن له من قبل وإلا لكان مماثلا للحوادث فيكون حادثاً مثلها، ولا يقول بذلك أحد مارس علوم المعرفة، وعرف مداخل الفساد على سطحية الإستدلال فى مسائل الإعتقاد فاستدلالهم على الإستواء بقول الله تبارك وتعالى ﴿**لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين**﴾ (الزخرف: ١٣) ماهو الا استدلال باطل.

فحديثهم عن إستواء الحق تبارك وتعالى على العرش بناء على التسوية بين الاستواء فى آية الزخرف والآيات الأخرى فى «طه» وغيرها ماهو إلا محض تشبيه للحق بالخلق وهو المحظور الذى تبرأ منه السلف والخلف من أهل السنة أعاذنا الله من ذلك .

ومن مداخل الوهم لهؤلاء فى قراءتهم للنصوص، إعتقادهم أن بعض الصفات تتجدد للحق تبارك وتعالى باظهاره لبعض الأفعال، وذلك فى مثل قوله تعالى ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ﴾ الأعراف: آية ١٤٣ ويعلق بعضهم على ذلك بقوله : يفهم من هذه الآية أنه لم يكن متجليا ثم صار متجليا، وهذا نوع من التغير، أو

التحول من حــال إلى حال فالقول باستــحالة ذلك كما يعــتقده بعض الناس باطل لا أصل له ٠

قلت : هذا هو نوع فهم هؤلاء لنصوص القرآن والأحاديث النبوية مع أن أهل السنة والجـمـاعة يفـهمـون من هذه النصوص خـلاف ما يفـهمـه هؤلاء، وهو أن إبداء التـجـلى واظهـاره، لا يدل على بداية إنشــائه أو إيجــاده فى ذلك الوقت وإنما الحـادث هـو إظهــار التــجلى للجبل فى ذلك الوقت وإلا فالله مـوصوف بتجلـيه أزلا وأبـداً، ولم يتجدد له وصف بخلق الأكوان لم يكن له أزلا فهـو موصوف بأسماء الأفعال كلهــا قبل إظهارها، فهو خالق ورازق وقــادر ومريد قبل خلق المخلوق والمرزوق والمقدور والمراد ومن هنا قالوا أمور يبــديها لا ينشيها ولا يجـوز عليه البـداء لكمال علمــه وحكمــته وقــدرته وغناه المطلق وقيوميته الذاتية ، والله الموفق ٠

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ٠

الفهرس



الشيخ الإمام الشريف إبراهيم صالح الحسيني

- رئيس هيئة الإفتاء بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بعموم نيجريا
- مستشار الحكومة الفيدرالية في الشئون الإسلامية .
- الأمين العام المساعد للشئون الإفريقية في القياد الشعبية الإسلامية العالمية .
- ينتهي نسبه للإمام الحسين بن الإمام علي كرم الله وجهه .
- ولد رضي الله عنه في قرية من قري ولاية برنو بنيجيريا
- نشأ رضي الله عنه في مدرسة القرآن وصاحب العلماء والمشايخ وحصل على إجازات عديدة .

حصل رضي الله عنه علي عدة أوسمة وشهادات تقدير منها :

- وسام الجمهورية في العلوم والفنون بجمهورية مصر العربية ١٩٩٣م .
- شهادة ووسام تقدير بطل إسلامي في مجمع أبو النور الإسلامي والمجلس الأعلى للشئون الدنية بالجمهورية السورية ١٩٩٧ م .
- وسام درع الدعوة من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا .
- وسام الريادة من الدرجة الأولي وكثير من الأوسمة داخل نيجيريا وخارجها

التراث والمؤلفات :

- للشيخ مؤلفات كثيرة زادت على بضع مئات منها ماهو مطبوع وماهو مخطوط .. منها قواعد تفسير القرآن ، والفقه وأصول الفقه ، ومصطلح الحديث والمورايث ، والبلاغة ، والنحو ، والسيرة ، والإقتصاد ، النطق ، والتصوف الإسلامي ، والفلك وغيرها .

أبناء الشيخ بمصر